الجزائر في مائة سنة

١٨٣٠ - ١٩٣٠

لحضرة الشيخ سليم الدحداح

نشرنا في عدد ايار الفائت لحضرة الاب لوفنك اليسوعي ، بحثاً بعنوان « التذكار المئوي لاحتلال الجزائر » درس فيه حالة تلك البلاد من حيث الرقي الاجتماعي والديني خصوصاً . ثم اتانا المقال التالي من حضرة المؤرخ الشيخ سليم الدحداح ، وقد جال في المرضوع جولة تاريخية لتمر البحث السابق ، فنشرناه شاكرين.

في هذه السنة ١٩٣٠ تتمّ تذكارات قرنية عديدة . فالكنيسة الكاثوليكية بالعموم ، وكنيسة افريقية بالخصوص ، تحتفل بمرور ١٥٠٠ سنة على وفاة معلّم الكنيسة العظيم القديس اغوسطينوس اسقف هيبّونه (في الجزائر) . والشعب اليوناني احتفل في ٣ شباط بمرور مائة سنة على توقيع معاهدة لندن بين فرنسة وروسية وانكلترة التي قررت نهائياً استقلال دولة اليونان استقلالاً تاماً . وقد ابتدأ شعب بلجيكة وحكومتها بالاحتفالات بمرور مائة سنة على مناداة بلجيكة بالثورة على حكومة هولندة ، وطلب الاستقلال عنها . وكذلك يستعدّ المصريون للاحتفال بمرور مائة سنة على ولادة اسمعيل باشا ، ذلك الخديوي العظيم ، والد جلالة الملك فؤاد الاول ، والذي عمل الاعمال العظيمة لتشييد عظمة وتمدّن مصر . وهو الذي قال عن بلاده انها لم تعد تحسب من افريقية .

ولا غرو اذا اشترك كل هذه الشعوب الشعب الفرنسوي باحتفالات اعياده الوطنية ، لانه كان لفرنسة اليد الكبرى في كافة الحوادث التي يحتفلون بتذكاراتها ، فتُظهر هذه الامم معرفتها جميل هذا الشعب الكريم وهذه البلاد

التي هي الوطن الثاني لجميع اهالي الارض.

على ان فرنسة تحتفل هي ايضاً بتذكار أولاها المجد، ويجدر بجميع الامم، وبالاخص جميع الشعوب الساكنة شواطي البحر المتوسط، ان يشاركوها في احتفالاته - اعني بذلك مرور مائة سنة على فتح الجزائر. وقد رأينا ان نروي لقرّاء «المشرق» بعض امور تتعلق بهذا الفتح العظيم، وببعض ما اجرته فرنسة في تلك الاصقاع خلال هذه المائة السنة.

انه ليصعب على عقولنا، ونحن نرى الآن عظمة دول اوروبة، ان نتصوّر ما كانت عليه شواطئها والملاحة في البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون - فقد كانت شواطئ بلاد المغرب منذ منتهى حدود القطر المصري الى جبل طارق، وعلى الاخص القسم الغربي من هذه الشواطئ، منبعاً للصوص يغيرون بمراكبهم السريعة فينقضون على المراكب التجارية ويستولون عليها، ويستحضرونها بكافة محمولها وركابها الى موانئ بلادهم، فيقتسمون ارزاقها وخيراتها، ويستعبدون من يستبقون من رجالها في قيد الحياة. وهناك تبتدئ حياة التعاسة والشقاء لهؤلاء العبيد، فقد كان اسيادهم يذيقونهم جميع انواع الهوان، الى ان يحسن لديهم امرٌ قبول الاموال التي تتقدم فديةً عنهم من جمعيات رهبانية اخذت على نفسها الاستعطاء في كافة اوروبة لهذه الغاية، واما التلذذ برؤيا موتهم في وسط العذابات. وكثيراً ما كانوا يسرّون بان يتركوا علامةً في اجساد من يطلقونهم من الاسرى كقطع انفهم او اذنهم، او تعطيل الاعضاء التناسلية فيهم، وبالعموم تشويههم بصورة مريعة. وقد قضى عدد لا يُعد من الوف المسيحيين في اسر ذليل في الجزائر وتونس ومراكش، في خلال القرون الثلاثة التي تنتهي في سنة ١٨٣٠، ويكفينا ذكر الشاعر الاسباني الشهير سرفانتيس مؤلف دون كيشوت الذي وقع في اسرهم سنة ١٥٧٥ وقضى عندهم خمس سنوات، وافتداه الرهبان بستمائة ريال، فاطلقوه مشوهاً. والقديس منصور دي پول الذي وقع في اسرهم سنة ١٦٠٦ وعاد من هناك، بعد ان تمكن من تنصير سيده.

وقد كان حكّام تلك البلاد الناشمون يتلذذون بان يذيقوا جميع الاجانب المسيحيين انواع الهوان، غير محترمين صفة القناصل او المعتمدين السياسيين ولا

الرهبان او الاشخاص المتعابدين . فكانوا اثناء غيظهم ، او حين ما يخطر على بال تعصبهم ، يأمرون بطرح هؤلاء المتعبدين بالسجن ، او يرمونهم في افواه المدافع بعد ان يعتدوا على اعراضهم فيبتولوا على نسائهم وبناتهم . وقد ظلت اوربة مدة طويلة تحتمل هذه الاهانات والاعمال اللصوصية . نعم ان الامبراطور شارل الخامس (Charles Quint) في القرن السادس عشر ، ولويس الرابع عشر ، على ثلاث مرات مختلفة في القرن السابع عشر ، ارادا تأديب هؤلاء القرصان . الّا ان الاول عاد خائباً ؛ واما الثاني فقد حصل في كل مرة على نوع من التعويض . على ان القرصان كانوا لا يلبثون ان يعودوا الى اعمالهم .

وفي بداية القرن التاسع عشر قصد نابوليون الاول ان يؤدّب والي الجزائر . لكن ضعف قواته البحرية ، ودوام حروبه البرّية مع دول اوربة حالا دون قصده . وهكذا استمرّت دول اوربة تؤدي للداي الجزية سنوياً للحصول على عدم التعدي على مراكبها .

واول من استنكر هذه الحالة دولة الولايات المتحدة . فقد ارسلت اسطولها لضرب شواطئ الجزائر ، وتمكّن اخيراً القبطان ديكاتور من اجبار داي الجزائر على التنازل عن هذه الجزية . وحذت بعد ذلك انكلترة حذوها ، فنال الاميرال اللورد اكسموث في سنة ١٨١٦ ، اعفاء انكلترة من هذه الجزية . امّا فرنسة فكانت منذ سنة ١٨٠٠ في خلاف على حسابات مع بعض رعايا الداي ، واخيراً ادّى ذلك الخلاف الى الحادث الذي كان سبباً للحرب .

أتى المسيو ديفال قنصل فرنسة لمعايدة الداي حسين حاكم الجزائر بعيد الفطر ، في ٢٩ نيسان ١٨٢٧ ، فانتهره حسين مطالباً اياه بالجواب . واخيراً انتهى به الامر الى ان ضربه بمروحته قائلاً له «انه ما من شيء يمنعه عن القائه في السجن» فاجابه ديفال بحدّة : «لا يجوز لك ان تمسني ، ولا بدّ ان ترى كيف يأخذ ملكي بثاري» فصرخ الداي : «اني اخاف ملكك بقدر ما اخافك . اذهب من امامي فانني اطردك» فخرج ديفال وعاد الى فرنسة مع رجال قنصليته على المركب «لابروفنس .»

كانت فرنسة حينئذٍ في عهد الملك شارل العاشر ، ووزارة دي قيلال الشهير .

فاغتاظ الملك لهذا الامر وارسل في ١٥ حزيران اسطولاً مؤلفاً من اربعة مراكب كبيرة ، و ١٨ قطعة صغيرة ، لحصر شواطي الجزائر والتضييق على تجارتها ، ليحمل الداي على الاعتذار . فكان الجزائريون يسخرون بهذا الحصار ، وكثيراً ما ألقت العواصف المراكب الصغيرة على الشواطئ . ، فكان يلقي الجزائريون القبض على البحارة ويذبحونهم ويعلقون رؤوسهم على ابواب المدينة .

اخيراً بناء على مداخلة البعض من المتحايدين بان الداي يرغب في اعادة المخابرات ، ارسل قائد الاسطول احد كبار رجاله في تموز ١٨٢٩ تحت العلم الابيض المتحايد ، فدخل مرسى الجه ونزل الى البر فتخابر مع الداي بمداخلة وحضور قناصل بعض الدول ، فلم تسفر المخابرات عن شيء . ولما خرج المعتمد المذكور على مركبه « لاپروفنس » وهو رافع العلم المتحايد أطلق عليه الجزائريون المدافع رغماً عن قوانين حقوق الدول . ولكن المركب بقي سالماً وظل ماخراً حتى خرج من الجه ، بدون ان يجيب بالنار على هؤلاء القرصان . فقرّ حينئذٍ رأي الملك شارل العاشر على ان يأخذ بالثأر . لكنه امام مقاومة الاحزاب المعاكسة تردّد اولاً في ارسال جيش ، فقصد ان يحمل محمد علي باشا حاكم مصر على تأديب الداي واعداً اياه بمصاريف الحملة . وقد ارسلت الحكومة الفرنسوية عشرة ملايين فرنك الى مرسيلية لتسليمها الى معتمد محمد علي باشا . الّا ان هذا الاخير رفض قبول هذه المهمة .

حينئذٍ رغماً عن معاكسة المجلس النيابي والاحزاب المضادّة ، اخذ الملك ووزارته الجديدة باعداد ممدّات الحملة . وقد اعلن الملك شارل العاشر سفراءه لدى الدول الاجنبية انه « يريد الانتقام لشرف علمه ، والغاء القرصنة واستعباد الاسرى ، وانقاذ اوروبة من ذلّ الجزية التي تدفعها الى بلاد البربر ، وانه مصمّم على عدم طرح السلاح واسترجاع جنوده من الجزائر قبل ان يحصل على مقصده » — فقابلت روسية هذا المشروع بتمام الارتياح طالبة من فرنسة توطيد حالة مستقرة في افريقية تضمن دوام السلام . ووافقتها بروسية حبّاً منها بانشغال فرنسة في خارج اوربة . ولم تبدِ النمسة معارضةً . امّا اللورد ستوارت سفير انكلترة ، فقد اخذ بمقابلة رئيس مجلس الوزراء البرنس دي پولينياك ، الذي

كان وزيراً للخارجية ايضاً ، وغيره من الوزراء ملحاً عليهم بان حكومته لن تقبل بارسال حملة ضدّ الجزائر ، وتوصل الى مقابلة الملك واعادة تهديداته له والى وزير البحرية البارون دي هوسز . فما اسفرت مداخلاته الّا عن فشل تام فان الملك قال له : «فايتحاشَ الانكليز عن المداخلة بامورنا بقدر ما نمتنع نحن عن المداخلة بامورهم .» وبما انه كان قدّم للبرنس دي پولينياك مذكرة تهديدية قائلاً بانها وردت له من حكومته واخذ يلحّ بطلب الجواب ، قال له البرنس : «اكتب الى وزارتك انك قدّمت لي المذكرة وانني لم اقرأها .»

امّا البارون دي هوسز فقد اجابه : « قلت لك مراراً يا حضرة السفير انني لا ارغب المحادثة معك بامور سياسية . واثباتاً لذلك فانني ساستعمل معك عبارات غير دبلوماتيكية فاقول لك : « *Je m'en f.. de l'Angleterre !* » وبعد ان اعطاه جميع التفصيلات عن عدد مراكب النقل والمراكب الحربية التي تحفرها ، وعدد رجال البحر ، ورجال الجيش البرّي ، وعدد المدافع ، واسماء القوّاد ، والقائد العام ، وتاريخ يوم اقلاع الاسطول ، والطريق التي يسلكها ، ومحل انزال الجيش ، ختم قائلاً : «يمكنك الآن ان تعطي هذه التفاصيل لحكومتك ولترسل اذا شاءت اسطولاً يمنعنا .»

ولمّا انتشر خبر تجهيز الحملة جاء كثيرون من امراء اوربة ورجالها فتطوّعوا في الجيش الفرنسوي مثل البرنس دي شوارزنبرغ النمسوي ، والبرنس دي كارينيان الايطالي ، وغيرهما . وطلب كثير من الضباط السماح لهم بالسفر مع الجيش بصفة جنود بسيطين او برتبة اصغر من رتبهم .

واخيراً في ١٦ ايار ١٨٣٠ ، ابحر الجيش من مياه طولون .

كان الاسطول مؤلفاً من مائة مركب حربي عليها ٢٨ الف بحري بامرة القيس اميرال دي بيّدي (وقد كان يقول بعدم امكان نجاح الحملة) وبرفقة ثلاثمائة وسبعة وخمسين مركباً (منها سبع بواخر فقط) تحمل ٣٧,٢٠٠ جندياً وضابطاً وقائداً ، و ١١٢ مدفعاً مقسومين الى ثلاث فرق تحت قيادة الجنرالية لوفردو وبيرتيزين ودي كارس ، بأمرة القائد العام الجنرال دي بورمون الذي كان هو ذاته وزيراً للحربية . وقد ركب المركب لاپروفنس ، ورفع عليه

علم القيادة العامة . وبالنظر لمعاكسة الارياح ، لم يتمكن الاسطول من الاقلاع الّا في ٢٥ ايار ١٨٣٠ . وبعد وصول الاسطول امام شواطي بلاد الجزائر ، وتردّد رجال البحرية بسبب حالة الجوّ ، صار اخيرًا انزال الجيش قرب محلة سيدي فروش في ١٣ حزيران ١٨٣٠ . وفي ١٩ منه جرت المعركة الاولى بين الفاتحين وبين جيش الجزائر ، وعدده ٢٨ الفاً بقيادة ابرهيم اغا صهر الداي ، فاستولى الفرنسيون على معسكرهم في ستاويلي . ثم انتصروا ثانية في ٢٤ منه في معركة سيدي خالف . الّا ان الضابط اميدي دي بورمون احد انجال القائد العام ، قُتل فيها . وبدأ حصار مدينة الجه في ٣٠ حزيران ١٨٣٠ . وكان الداي عزل صهره ، واسند قيادة الجيش والحامية الى احد رجاله المدعو « ابو مزراق » . وفي ٤ تموز صمتت مدافع الجه وارسل الداي يطلب التسليم بواسطة كاتبه مصطفى اغا ، وحضر معه قنصل انكلترة بصفة خصوصية . فعرض على الجنرال دي بورمون اعطاءه معاريف الحملة والاعتذار عمّا بدا سابقاً بشرط الّا يدخل احد المدينة . فاجابه القائد . على الداي ان يسلّم المدينة ، وان تخضع هذه مع كافة الجنود لحكومة فرنسة ، وانه يتعهد للسكان بحرية المذهب واحترام شعائرهم الدينية ، وتخويلهم الحرية والامان لهم ولعرضهم واملاكهم . واذا لم يوقّع الداي شروط التسليم قبل نصف الليل ، فهو يهدم المدينة .

فتقدمت صورة المعاهدة الى الداي ، فوقّعها يوم الاحد الواقع في ٤ تموز ليلًا . ونهار الاثنين في ٥ تموز سنة ١٨٣٠ ، دخلت الجيوش الافرنسية بصورة رسمية بقيادة الجنرال دي بورمون مدينة الجه التي طالما رأت صفوف الاسرى من افرنسيين واسبانيين وايطاليين وخلافهم داخلين مقيّدين بالاغلال والحديد وسط الجموع المحتشدة لتسخر منهم وتمثل بهم . فاستولوا على القلاع والحصون وجميع المحلّات الرسمية ، واستلموا الخزانة فوجدوا فيها ٤٩ مليوناً من الفرنكات ورُفعت الاعلام الفرنسوية البيضاء المزدانة بالزنبق (علم فرنسة في عهد البوربون) على المدينة والاسوار . ثم سُمح للداي بالمجيء لمقابلة الجنرال ، فأتى ومكث عنده ساعة من الزمان ومما قاله له : « كنت بهذا القدر واثقاً من هلاك من ينزل منكم الى البرّ حتى انني كنت مستعداً لتسهيل نزول

الجيش. لكنّ الله شاء عكس ذلك ، فلكم النصر ! » وقد استأذن بالذهاب مع اسرته وذويه الى ليفورنو في ايطالية ، فاحضر له الجنرال مركباً مخصوصاً. وعند ساعة السفر غيّر فكره ، وبناء على طلبه ، توجّه به المركب الى مدينة نابولي ، وهو يردّد الشكر لحسن معاملة المنتصر له . اما الملك والحكومة في باريس فلم يبلغهما الخبر الّا نهار الجمعة في ٩ تموز ، فقد أرسل القائد العام التقارير الرسمية وبشرى خبر النصر مع المركب سفينكس الذي اقلع من مرسى الجه في ٦ تموز فوصل مرسيلية حيث طيّر الخبر مع التلغراف الهوائي الى باريس. فوصل الخبر للملك شارل العاشر والدنس دي پولينياك الجمعة في ٩ تموز عند الظهر ، فزيّنت دور الحكومة . ويوم الاحد في ١١ تموز عند الساعة الرابعة بعد الظهر ، أقيمت صلاة الشكر في كنيسة السيدة الكاتدرائية بحضور الملك. وقد انعم الملك على الجنرال دي بورمون بمقام المارشالية.

وانفذ دخول بورمون الى الجه اكثر من الف اسير كانت حكومة الجزائر تستعبدهم في الاشغال الشاقة تحت الارض ، وتحت الاسوار في خنادق باب الواد ، فعادوا الى الحياة والى الحريّة . فيجدر بدول وشعوب اوربة كافةً ان يتخذوا يوم ٥ تموز ، اي يوم دخول الجيش الفرنسوي لمدينة الجه ، عيداً رسمياً شاملاً يشتركون فيه معها بالافراح. لان فرنسة بانتصارها هذا المبين قد انقذتهم من الجزية التي كانوا يدفعونها للجزائر ، وقد انقذت رعاياهم من ذلّ الاسر والعبودية وامّنت حرية البحار . هذا هو الفتح العظيم الذي يمرّ عليه في ٤ تموز الحالي مائة سنة كاملة . وقد ذهب رئيس الجمهورية الفرنسوية في الشهر الماضي الى الجزائر حيث افتتح احتفالات الاعياد القرنية لهذا التذكار العظيم.

قضى الفرنسيون سنين طويلة حتى تمكنوا من اخضاع قبائل وشعوب هذه البلاد الشاسعة المعروفة الآن بمستعمرة الجزائر . وليس هنا المحل اللازم للتكلم عن ثورة ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ تموز ١٨٣٠ التي ذهبت بعرش شارل العاشر ، وارسلت الفرع الاول الشرعي من سلالة البوربون الى المنفى . ولم يلبث المارشال دي بورمون ان سلك طريق المنفى باثر سيده ، لكونه رفض يمين الطاعة للعلم المثلّث الالوان وللملك لويس فيليب . فغادر الجزائر في ٢٠ آب

١٨٣٠ ، وكان وصل خلفه الجنرال كلوزيل منذ ١٧ آب. وقد تعاقب حكام الجه حتى سنة ١٨٣٤ حيث عُيّن القائد العام بلقب « الحاكم العام لممتلكات فرنسة في افريقية الشمالية » . وفي سنة ١٨٤٠ سمّي بلقب حاكم الجزائر العام وكان اكبر مناوئي الفرنسويين الرئيس الاعلى للقبائل الوطنية حتى نهاية سنة ١٨٤٧ ، الامير عبد القادر الحسني ، من ولاية وهران ، فقد رأس قوّات المدافعين عن استقلال الجزائر مدة ١٤ سنة ، واضطر في اواخر كانون الاول ١٨٤٧ الى التسليم بين يدي الجنرال دي لاموريسير .

وفي نهاية سنة ١٨٧٠ تمت اعمال الفتح تقريباً ، فاستبدلت الحكومة الفرنسوية نوع حكومة الجزائر ، وسلّمت السلطة فيها الى حكام ملكيين ، واصبح قائد الفيلق التاسع عشر المقيم في اراضي الجزائر منحصرة مهمته في ادارة الجنود فقط كما في فرنسة ، وصارت رئاسة المستعمرة الى حاكم مدني باسم حاكم عام ، يتبعه حكام ولايات يدعى كل واحد منهم باسم پريفي (*préfet*) كما في فرنسة .

وفي الربع الاخير من القرن التاسع عشر توغّلت الجنود الفرنسية في داخلية البلاد واجتازت اراضي الصحراء ، وربطت الفوطات التي في اقصى البلاد ، في وسيط القفار ، بعضها الى بعض بطرقات بديعة شيّدها الجيش ، فاكملوا بذلك حدود الجزائر كلّها ، وذلك بضمّ القفار المعروفة باسم المزاب (M'zab) . ووضعوا الحاميات في اطرافها بطريقة تضمن امكان اسعافها حين الحاجة ، فتمّ تطويق اراضي المستعمرة من جهة الصحراء .

وانه يضيق نطاق هذه المقالة عن تلخيص اعمال فرنسة في مدة هذا القرن في الجزائر ، فقد كانت تجارتها في ١٨٣٠ لا تكاد تبلغ بضعة ملايين من الفرنكات ؛ اما الآن فهي تبلغ عشرة مليارات . كانت عديمة الطرقات لا يوجد فيها سوى منافذ ومسالك وعرة صعبة ، اما الآن ففيها خمسة آلاف كيلومتر من الطرقات الحديدية ، وخمسة آلاف كيلومتر من الطرقات العمومية الواسعة الحسنة الجيدة .

كانت الجزائر لا تكفي ذاتها في سنة ١٨٣٠ بالحبوب ، اما الآن فانها

تصدر من الحبوب ما قيمته ثلاثمائة مليون فرنك . لم يكن فيها ما تصدره من النبيذ ، اما الآن فان قيمة ما تصدره من الخمر يبلغ مليارًا ونصف مليار من الفرنكات . كان عدد سكان الجزائر يبلغ مليون نفس تقريباً . ففي سنة ١٨٧٠ بلغ عدد الوطنيين والاجانب مليونين وثلاثمائة وخمسين الفاً . اما في سنة ١٩٢٧ فقد بلغ الاحصاء الرسمي ستة ملايين وخمسة وستين الفاً ، منهم نحو تسعمائة الف فرنسوي واوربي.

في سنة ١٨٣٠ كان يتردَّد لمياه الجزائر بضع مئات من المراكب التجارية ، وهي جازعة خائفة من سوء المصير نظرًا لاستبداد الحكومة . اما الآن فان حركة الاساكل عظيمة جداً فيغشاها عشرة آلاف من البواخر والمراكب الشراعية يحملها عشرة ملايين واكثر من الاطنان.

كانت الجزائر تجهل في سنة ١٨٣٠ اعمال البريد والتلغراف ، اما الآن فان فيها ٧٠٠ مركز للبريد ، و ٨٠٠ مركز للبرق ، وعطتين للتلغراف اللاسلكي ، و ١٦ الفاً من طرقات البرق لها ٥٠ الفاً من الخطوط التلغرافية ، عدا خطوط التلفون في داخل الجه وغيرها من المدن الكبيرة.

وبالاختصار فان الجه اصبحت الاسكلة التجارية الثالثة بين اساكل فرنسة ، والثالثة ايضاً بين اساكل البحر المتوسط.

وفي سنة ١٩٢٣ تمّ اجتياز الصحراء في السيارة من الجزائر الى اراضي المستعمرة الفرنسوية في غربي افريقية لاول مرّة . وفي النيّة انشاء خطّ دائم لاتصال ممتلكات فرنسة الافريقية مع الجزائر.

وقبل ان نختم مقالتنا هذه عن الجزائر نقول انه في ١٨٨١ تمنى لفرنسة ان عقدت معاهدة مع باي تونس ، فدخلت هذه الدولة تحت حمايتها . ومن سنة ١٩٠٦ الى سنة ١٩١٨ ادخلت سلطنة مراكش (ما خلا منطقة صغيرة دخلت في نفوذ اسبانية) تحت حمايتها . وهكذا اضحى القسم الغربي من شواطي افريقية الشمالية باسره تحت العلم الفرنسوي اي ما يبلغ طوله اكثر من الفي كيلومتر من الشواطي.

تبلغ مساحة الجزائر الآن ٦٧٠ الف كيلومتر مربّع منها ٢١٠ آلاف

كيلومتر مربّع تحت الاحكام الملكية مثل سائر ولايات فرنسة بالذات ، وتبلغ مساحة القسم الممكن الانتفاع منه من اراضي الجزائر نحوًا من اربعمائة الف كيلومتر مربّع .

واما تقدّم الدين المسيحي وانتشار التعليم والتمدن في تلك الاصقاع التي كان يخيم عليها الجهل قبل ١٨٣٠ فحدّث عنه ولا حرج ؛ انشئت المدارس للذكور والاناث في اكثر المدن والقصبات ، وأُعيدت التقسيمات الكنائسية فأنشيء في الجزائر رئاسة اسقفية في الجهة واسقفيتان في وهران وقسطينة . وتشيدت ادبرة الرهبان في انحاء عديدة . وكان للكردينال لافيجري ورهبانه الآباء البيض ، فضلًا عن التراپيست واليسوعيين ، القسم الاكبر من هذه الاعمال الخيرية والتهذيبية . وبالاختصار فان مستقبل الجزائر ، وكذلك القول عن تونس ومراكش ، تحت الادارة الفرنسوية ، يبشر بنجاح باهر . فسيعود مجد هذه البلدان التي كانت زاهرة قبل القرن السابع للمسيح . ولا شك ان المسيحية ستعود الى سابق عزّها وازدهارها هناك . وقد حصلت معاً احتفالات تذكار وفاة القديس اغوسطينوس ، واحتفالات العيد القرني لفتح الجزائر ، مع انعقاد المؤتمر القرباني في مدينة قرطجنة وحضور كردينال فرنسوي ليترأسها من قبل قداسة البابا . ويجدر بنا ان نختم هذه المقالة بالعبارة التي كتبها النائب البلجيكي المسيو ماينهوت على اثر سياحته في الجزائر : « متى عدنا لبلادنا سنقول لمن يريد ان يصغي الينا انه يجب ان نذهب الى الجزائر لنجد احسن مثال للتمدّن . »

وقد برهن الجزائريون عن معرفتهم الجميل ومزيد تعلقهم بفرنسة ببرق دمائهم دفاعاً عنها في الحرب العالمية ، فضلًا عمّا اجراه الامير عبد القادر في دمشق سنة ١٨٦٠ ؛ فكلّ هذا يثبت ان فرنسة لا تزال ام المدنية والانسانية ، وانه يحق للمؤرخ ان ينعت اعمالها في العالم خدمة للدين والتمدن ، كما قال مؤرخ الاجيال الوسطى في كلامه عن حروب الصليبيين : « اعمال الله على يد الافرنج »

Gesta Dei per Francos